

وقفات رمضانية

أعمال العشر الأواخر

للعشر الأواخر من رمضان عند النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه أهمية خاصة ولهم فيها هدي خاص، فقد كانوا أشد ما يكونون حرصاً فيها على الطاعة. والعبادة والقيام والذكر ولتتعرف في هذه الدقائق على أهم الأعمال التي كان يحرص عليها الأولون وينبغي علينا الاقتداء بهم في ذلك:

1 - فمن أهم هذه الأعمال: «إحياء الليل» فقد ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل العشر أحيا الليل وأيقظ أهله وشد مؤزره ومعنى إحياء الليل: أي استغرقه بالسهر في الصلاة والذكر وغيرهما، وقد جاء عند النسائي عنها أنها قالت: «لا أعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ القرآن كله في ليلة ولا قام ليلة حتى أصبح ولا صام شهراً كاملاً قط غير رمضان» فعلى هذا يكون إحياء الليل المقصود به أنه يقوم أغلب الليل، ويحتمل أنه كان يحيي الليل كله كما جاء في بعض طرق الحديث.

وقيام الليل في هذا الشهر الكريم وهذه الليالي الفاضلة لاشك أنه عمل عظيم جدير بالحرص والاعتناء حتى نتعرض لرحمات الله جل شأنه.

2 - ومن الأعمال الجليلة في هذه العشر: إيقاظ الرجل أهله للصلاة.

فقد كان من هديه عليه الصلاة والسلام في هذه العشر أنه يوقظ أهله للصلاة كما في البخاري عن عائشة، وهذا حرص منه عليه الصلاة والسلام على أن يدرك أهله من فضائل ليالي هذا الشهر الكريم ولا يقتصر على العمل لنفسه ويترك أهله في نومهم، كما يفعل بعض الناس وهذا لاشك أنه خطأ وتقصير ظاهر.

3 - ومن الأعمال أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل العشر شد المنزلة كما في الصحيحين والمعنى أنه يعتزل النساء في هذه العشر وينشغل بالعبادة والطاعة وذلك لتصفو نفسه عن الأكدار والمشغوليات فتكون أقرب لسمو القلب إلى معارج القبول وأزكى للنفس لمعانقة الأجواء الملائكية وهذا ما ينبغي فعله للسالك بلا ارتياب.

4 - ومما ينبغي الحرص الشديد عليه في هذه العشر: الاعتكاف في المساجد التي تصلي فيها فقد كان هدي النبي صلى الله عليه وسلم المستمر الاعتكاف في العشر الأواخر حتى توفاه الله كما في الصحيحين عن عائشة.

وانما كان يعتكف في هذه العشر التي تطلب فيها ليلة القدر قطعاً لأشغاله وتفرغاً ليلاليه وتخلياً لمناجاة ربه وذكره وعبادته، وكان يحتجز حصيراً يتخلى فيه عن الناس فلا يخالطهم ولا يتشغل بهم.

وقد روى البخاري أنه عليه الصلاة والسلام اعتكف في العام الذي قبض فيه عشرين يوماً.

قال الإمام الزهري رحمه الله عليه: «عجباً للمسلمين تركوا الاعتكاف مع أن النبي صلى الله عليه وسلم ما تركه منذ قدم المدينة حتى قبضه الله عن وجل».

ومن أسرار الاعتكاف صفاء الروح إذ إن مدار الأعمال على القلب كما في الحديث (الآن وفي الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله إلا أوهي القلب).

فلما كان الصيام وقاية للقلب من مغية الصوارف الشبهوانية من فضول الطعام والشرب والنكاح فتدرك الاعتكاف ينطوي على سر عظيم وهو حماية العبد من آثار فضول الصحبة وفضول الكلام وفضول النوم وغير ذلك من الصوارف التي تفرق أمر القلب وتقسد اجتماعه على طاعة الله.

ومما يجدر التنبيه عليه هنا أن كثيراً من الناس يعتقد أنه لا يصح له الاعتكاف إلا إذا اعتكف كل أيام العشر ولياليها، وبعضهم يعتقد أنه لا بد من لزوم المسجد طيلة النهار والليل والإلزام يصح اعتكافه، وهذا ليس صواباً إذ أن الاعتكاف وإن كانت السنة فيه اعتكاف جميع العشر إلا أنه يصح اعتكاف بعض العشر سواء نهاراً أو ليلاً كما كان هناك ما يقطع اعتكافه من المشاغل فإذا ما خرج لأمر مهم أو لوظيفة مثلاً استأنف نية الاعتكاف عند عودته، لأن الاعتكاف في العشر ميسون أما إذا كان الاعتكاف واجباً كان نذر الاعتكاف مثلاً فإنه يبطل بخروجه من المسجد لغير حاجة الإنسان من غائط وما كان في معناه كما هو مقرر في موضع من كتب الفقه

فلا تشتغل إلا بما يكسب العلاء

ولا ترض للفس النفسية بالردى

وفي خلوة الإنسان بالعلم أنسه

ويسلم دين المرء عند التوحد

ويسلم من قال وقيل ومن أنى

جليس ومن أش بغيط وحسد

وخير مقام قمت فيه وحلية

تجليتها ذكر الإله بمسجد

ومن أهم الأعمال في هذا الشهر وفي العشر الأواخر منه على وجه الخصوص تلاوة القرآن الكريم بتدبر وخشوع، واعتبار معانيه وأمره ونهيه قال تعالى: «شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان» فهذا شهر القرآن، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يدارسه جبريل في كل يوم من أيام رمضان حتى يتم ما أنزل عليه من القرآن وفي السنة التي توفي فيها قرأ القرآن على جبريل مرتين.

وقد أورد الشيخ ابن حجر رحمه الله وسلم إلى فضل القرآن وتلاوته فقال «أقرأوا القرآن فإن لكم بكل حرف حسنة والحسنة بعشر أمثالها أما إنني لأقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف» رواه الترمذي وإسناده صحيح وأخبار النبي صلى الله عليه وسلم أن القرآن يحاج عن صاحبه يوم العرض الأكبر فقال «يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران تحاجان عن صاحبهما» رواه مسلم.

ولقد كان السلف أشد حرصاً على تلاوة القرآن وخاصة في شهر رمضان فقد كان الأسود بن يزيد يحتم المصحف في ست ليال فإذا دخل رمضان ختمه في ثلاث ليال فإذا دخلت العشر ختمه في كل ليلة، وكان الشافعي رحمه الله عليه يختمه في العشر في كل ليلة بين المغرب والعشاء وكذا روي عن أبي حنيفة رحمه الله.

وقد أفاد الحافظ ابن رجب رحمه الله أن النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث إنما هو على الوجه المعتاد أما في الأماكن الفاضلة كمكة لمن دخلها أو في الأوقات الفاضلة كشهر رمضان والعشر منه فلا يكرهه عليه عمل السلف.

نسال الله الكريم أن يوفقنا إلى طاعته ويستعملنا في مرضاته ويسلك لنا مسلك الصالحين ويحسن لنا الختام ويتقبل منا صالح الأعمال إنه جواد كريم.

والنتفضات الإلهية



يحمد القوم السرى. وأما من كان نوماً كسلان متعباً لأهواء النفس وشهواتها، فإنه تتقطع به السبل، ويقوته الركب، ويسيقه الجاذون المشغورون، والراحة لا تنال بالراحة، ومعالي الأمور لا تنال إلا على جسر من التعب والمشقات (يا أيها الذين آمنوا اضربوا وصابروا ورايظوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) [آل عمران: 200]. ومن خصائص هذه العشر المباركة استحباب الاعتكاف فيها، والاعتكاف هو: لزوم المسجد للتفرغ لطاعة الله عن وجل - وهو من السنة الثابتة بكتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - قال الله تعالى: (ولا تبشروهن وإنما عاكفون في المساجد) وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عن وجل، واعتكف أزواجه وأصحابه معه وبعده. وفي صحيح البخاري عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يعتكف في كل رمضان عشرة أيام، فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين يوماً.

والمقصود بالاعتكاف: انقطاع الإنسان عن الناس ليتفرغ لطاعة الله، ويجتهد في تحصيل الثواب والأجر وإبراز ليلة القدر، ولذلك ينبغي للمعتكف أن يشتغل بالذكر والعبادة، ويتجنب ما لا يهينه من حديث الدنيا، ولا بأس أن يتحدث قليلاً بحديث مباح مع أهله أو غيرهم.

ويحرم على المعتكف الجماع ومقدماته لقوله تعالى: (... ولا تبشروهن وإنما عاكفون في المساجد...)

وأما خروجه من المسجد فهو على ثلاثة أقسام:

1 - الخروج لأمر لا بد منه طبعاً أو شرعاً لقضاء حاجة البول والغائط والوضوء الواجب والغسل من الجنابة، وكذا الأكل والشرب فهذا جائز إذا لم يمكن فعله في المسجد. فإن أمكن فعله في المسجد فلا مثل أن يكون في المسجد دورات مياه يمكن أن يقضي حاجته فيها، أو يكون له من يأتيه بالأكل والشرب، فلا يخرج حينئذ لعدم الحاجة إليه.

2 - الخروج لأمر طاعة لا تجب عليه كعبادة مريض، وشهود جنازة ونحو ذلك، فلا يفعله إلا أن يشترط ذلك في ابتداء اعتكافه مثل أن يكون عنده مريض يحب أن يعود أو يخشى من موته، فيشترط في ابتداء اعتكافه خروجه لذلك فلا بأس به.

3 - الخروج لأمر ينافي الاعتكاف كالخروج للبيع والشراء ونحو ذلك، فلا يفعله لا بشرط ولا بغير شرط؛ لأنه يناقض الاعتكاف وينافي المقصود منه، فإن فعل انقطع اعتكافه ولا حرج عليه.

وقد حسب بعض العلماء «ألف شهر» فوجدوها ثلاثاً وثمانين سنة وأربعة أشهر، فمن وفق لقيام هذه الليلة وأحياها بأنواع العبادة، فكانه يظل يفعل ذلك أكثر من ثمانين سنة، فإله من عطاء جزيل، وأجر وافر جليل، من حرمه فقد حُرِم الخير كله.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»، وهذه الليلة في العشر الأواخر من رمضان لقول النبي - صلى الله عليه وسلم - «تحرروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان» متفق عليه.

وهي في الأوتار منها أخرى وأرجى، وفي الصحيحين أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «أحيا ليلة العشر الأواخر في الوتر» أي في ليلة إحدى وعشرين، وثلاث وعشرين، وخمس وعشرين، وسبع وعشرين، وتسع وعشرين. وقد ذهب كثير من العلماء إلى أنها لا تثبت في ليلة واحدة، بل تنتقل في هذه الليالي، فتكون مرة في ليلة سبع وعشرين ومرة في إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين أو تسع وعشرين.

وقد ألقى الله سبحانه علمها على العباد رحمة بهم، ليجتهدوا في جميع ليالي العشر، وتكثر أعمالهم الصالحة فتزداد حسناتهم، وترتفع عند الله درجاتهم (وكل درجات مما عملوا وما يكافل عما يعملون)، وأخفاها سبحانه حتى يتبين الجاد في طلب الخير الحريص على إدراك هذا الفضل، من الكسلان المنهاون، فإن من حرص على شيء جد في طلبه، وسهل عليه التعب في سبيل بلوغه والظفر به، فأروا الله من أنفسكم خيراً واجتهدوا في هذه الليالي المباركات، وتعرضوا فيها للرحمات والنفحات، فإن الحروم من حرم خير رمضان، وإن الشقي من فاته فيه المغفرة والرضوان، يقول النبي - صلى الله عليه وسلم - «رغم أنف من أدرك رمضان ثم خرج ولم يغفر له» رواه ابن حبان والحاكم وصححه الألباني.

إن الجنة حفت بالمكاره، وأنها غالبية نفيسة، لا تنال بالنوم والكسل، والإخلاد إلى الأرض، واتباع هوى النفس. يقول النبي - صلى الله عليه وسلم - «من خاف أدلج - يعني من أول الليل - ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة». وقد مثل النبي - صلى الله عليه وسلم - المسافر إلى الدار الآخرة - وكلنا كذلك - بمن يسافر إلى بلد آخر لقضاء حاجة أو تحقيق مصلحة، فإن كان جادا في سفره، تاركا للنوم والكسل، متحملاً لمشاق السفر، فإنه يصل إلى غايته، ويحمد عاقبة سفره وتعبه، وعند الصباح

على شغل أو فائق فيما يقربك إلى ربك، ويكون سبباً لسعادتك وحسن عاقبتك، في دنياك وآخرتك.

وإذا كان قد ذهب من هذا الشهر أكثره، فقد بقي فيه أجله وأخيره، لقد بقي فيه العشر الأواخر التي هي زبدته وتمرته، وموضع الذؤابة منه.

ولقد كان صلى الله عليه وسلم يعظم هذه العشر، ويجتهد فيها اجتهاداً حتى لا يكاد يقدر عليه، يفعل ذلك - صلى الله عليه وسلم - وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فما أحرانا نحن المذنبين المفرطين أن نتقدي به - صلى الله عليه وسلم - فنعرف لهذه الأيام فضلها، ونجتهد فيها، لعل الله أن يدركننا برحمته، ويسعفنا بنفحة من نفحاته، تكون سبباً لسعادتنا في عاجل أمرنا وأجله.

روى الإمام مسلم عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يجتهد في العشر الأواخر، ما لا يجتهد في غيره».

وفي الصحيحين عنها قالت: «كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يخلط العشرين بصلاة ونوم، فإذا كان العشر شراً وشد المنزلة».

فقد دلت هذه الأحاديث على فضيلة العشر الأواخر من رمضان، وشدّة حرص النبي - صلى الله عليه وسلم - على اغتنامها والاجتهاد فيها بأنواع القربات والطاعات، فينبغي لك أيها المسلم أن تفرغ نفسك في هذه الأيام، وتخفف من الاشتغال بالدينية، وتجتهد فيها بأنواع العبادة من صلاة وقراءة، وذكر وصدقة، وصلة للرحم وإحسان إلى الناس. فإنها - والله - أيام معدودة، ما أسرع أن تنقضي، وتطوى صحائفها، ويختم على عمك فيها، وأنت - والله - لا تدري هل تدرك هذه العشر مرة أخرى، أم يجول بينك وبينها الموت، بل لا تدري هل تكمل هذه العشر، أو توفى لإتمام هذا الشهر، فالله الله بالاجتهاد فيها والحرص على اغتنام أيامها ولياليها، وينبغي لك أيها المسلم أن تحرص على إيقاظ أمك، وحثي على اغتنام هذه الليالي المباركة، ومشاركة المسلمين في تعظيمها والاجتهاد فيها بأنواع الطاعة والعبادة.

ولنا في رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أسوة حسنة فقد كان إذا دخل العشر شد مؤزره، وأحيا ليله وأيقظ أهله.

وإيقاظه لأهله ليس خاصاً في هذه العشر، بل كان يوقظهم في سائر السنة، ولكن إيقاظهم لهم في هذه العشر كان أكثر وأوكد، قال سفيان الثوري: أحب إلي إذا دخل العشر الأواخر أن يتهدج بالليل، ويجتهد فيه، وينهض أهله وولده إلى الصلاة إن أطافوا ذلك.

وإن لمن الحرمان العظيم، والخسارة الفادحة، أن نجد كثيراً من المسلمين، نمر بهم هذه الليالي المباركة، وهم عنها في غفلة معرضون، فيمضون هذه الأوقات الثمينة فيما لا ينفعهم، فيسهرون الليل كله أو معظمه في لهو ولعب، وفيما لا فائدة فيه، أو فيه فائدة محدودة يمكن تحصيلها في وقت آخر، ليست له هذه الفضيلة والمزية.

وتجد بعضهم إذا جاء وقت القيام، انطرح على فراشه، وغط في نوم عميق، وقوت على نفسه خيراً كثيراً، لعله لا يدركه في عام آخر.

ومن خصائص هذه العشر: ما ذكرته عائشة عن أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يحيي ليله، ويشد مؤزره، أي يعتزل نساءه ليتفرغ للصلاة والعبادة، وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يحيي هذه العشر اغتناماً لفضلها وطلباً لليلة القدر التي هي خير من ألف شهر.

وقد جاء في صحيح مسلم عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: ما أعلم - صلى الله عليه وسلم - قام ليلة حتى الصباح، ولا تنافي بين هذين الحديثين، لأن إحياء الليل الثابت في العشر يكون بالصلاة والقراءة والذكر والسجود ونحو ذلك من أنواع العبادة، والذي نفته، هو إحياء الليل بالقيام فقط.

ومن خصائص هذه العشر أن فيها ليلة القدر، التي قال الله عنها: (ليلة القدر خير من ألف شهر، تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر). وقال فيها: (إننا أنزلناه في ليلة مباركة إننا كنا منذرين، فيها يفرق كل أمر حكيم) أي يفصل من اللوح المحفوظ إلى الملائكة الكاتبين كل ما هو كائن في تلك السنة من الأرزاق والأجل والخير والبشر، وغير ذلك من أوامر الله المحكمة العادلة.

يقول النبي - صلى الله عليه وسلم - «وفيه ليلة خير من ألف شهر من حرمها فقد حرم الخير كله، ولا يحرم خيرها إلا محروم» حديث صحيح رواه النسائي وابن ماجه.

قال الإمام النووي: «العمل فيها خير من العمل في ألف شهر سواها».

